﴿*يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ١٥﴾ [فاطر: 15]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قَبلَها:

غنى اللهِ عن كلِّ المخلوقات

لـمّا أشبع المقام أدلَّةً، ومواعظَ، وتذكيراتٍ؛ قصدَ إقناعَ المشركين بترك شركهم، ربَّما أحدثَ ذلك في نفوس أهل العِزَّةِ منهم إعجابًا بأنفسهم، واغترارًا بأنَّهم مرغوبٌ في انضمامِهم إلى جماعة المسلمين - ناسبَ أن ينبِّئهم اللهُ بأنَّه غنيٌّ عنهم، وأنَّ دينه لا يَعتزُّ بأمثالهم، وأنَّه مُصَيِّرُهم إلى الفناء، وآتٍ بناسٍ يعتزُّ بهم الإسلام[1].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿ٱلۡفُقَرَآءُ﴾: (فقر) أَصْلٌ صَحيحٌ يَدُلُّ عَلَى انْفِراجٍ في شَيْءٍ، وأصله هو المكسورُ الفقار، يُقال: فقَرَتْهُ فاقرةٌ، أي: داهيَةٌ تكسر الفقارَ، وتقول العربُ: رجلٌ فقيرٌ مِنَ المال؛ إذا كان لا شيءَ له[2]، وهو المحتاج، إلّا أنَّه يُقال: افتقرَ إلى كذا بالتَّخصيص، فإذا قيل: هو فقيرٌ؛ فمعناهُ في العُرف: أنَّه كثير الاحتياج إلى فضل النّاس، أو إلى الصَّبر على الحاجةِ؛ لقلَّة ثَروته، والفقرُ يُستَخدم على أوجهٍ، **الأوَّل**: عدمُ وجود الحاجة الضَّروريَّة، وذلك عامٌّ في الإنسانِ ما دام في دار الدُّنيا، وفي كلِّ الموجودات، وعلى هذا قولُه: ﴿*يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ﴾، والثّاني: عدمُ المقتنيات، وهو المذكور في قوله: ﴿لِلۡفُقَرَآءِ ٱلَّذِينَ أُحۡصِرُواْ﴾ [البقرة: 273]، الثّالث: فقرُ النَّفس، وهو المقابلُ بقولهِ ﷺ: «الغِنى غِنى النَّفس»[3]، الرّابع: الفقرُ

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 22/ 285.
(2) الجوهريّ، الصّحاح، وابن فارس، مقاييس اللّغة: (فقر).
(3) أخرجه البخاريّ في صحيحه، برقم: (6081)، ومسلم في صحيحه، برقم: (1051).

إلى الله، يدلُّ عليه قوله: ﴿رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴿٢٤﴾﴾ [القصص: 24][1]، وكلُّ مخلوقٍ فقيرٌ إلى خالقِهِ في وجودِهِ وبقائِهِ، قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ ٱلْغَنِيُّ وَأَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ﴾ [محمّد: 38][2].

2) ﴿ٱلْغَنِيُّ﴾: أصل (غني) يدلُّ على الكفاية، والغِنى: ضِدُّ الفقر، والغَنيُّ: الذي لا يحتاج إلى أحدٍ في شيء[3]، والغنى يُقال على ضروبٍ، أحدها: عدمُ الحاجات، وليس ذلك إلّا لله تعالى، قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ﴾، والثّاني: قلّةُ الحاجات، وهو المشار إليه بقوله: ﴿وَوَجَدَكَ عَآئِلًا فَأَغْنَىٰ ﴿٨﴾﴾ [الضّحى: 8]، الثّالث: كثرةُ المقتنيات بحسب ضروبِ النّاس، قال تعالى: ﴿وَمَن كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ﴾ [النّساء: 6]، ويُعرَف بالعُرف، يقال: فلان غنيٌّ، بمعنى له ثروةٌ يستطيع بها تحصيلَ حاجاتِهِ من غير فضلٍ لأحد عليه، فوُجدان أجورِ الأُجراء غِنًى، وإن كان المستأجرُ محتاجًا إلى الأُجراء؛ لأنَّ وُجدانَ الأجور يجعله كغير المحتاج، والغنى المطلق لا يكونُ إلّا لله تعالى"[4].

3) ﴿ٱلْحَمِيدُ﴾: (حمد) كَلِمَةٌ واحِدَةٌ وأَصْلٌ واحِدٌ يَدُلُّ عَلَى خِلافِ الذَّمِّ[5]، وحَمَدتُ الرَّجُلَ، أَحْمَدُهُ حَمْدًا؛ إذا رَأَيْتُ منه فِعْلًا مَحمودًا، واصْطنعَ إليكَ يَدًا تَحْمدُهُ عليها[6]، ورَجُلٌ محمودٌ ومُحمَّدٌ؛ إذا كَثُرتْ خِصالُهُ المحمودةُ، والحَميدُ: من صفاتِ الله تعالى، وتَقدَّس، بمعنى المحمودِ على كلِّ حالٍ، وهذه اللَّفظةُ في الأصول (فعيل) بمعنى مفعولٍ، فـ (حميد) بمعنى محمودٍ[7]، فمعنى وصفِ الله بـ ﴿ٱلْحَمِيدُ﴾ أنَّ غناه تعالى مقترنٌ بجوْدِهِ، فهو يَحْمَدُ من يتوجَّه إليه، وهو سبحانه المنعمُ على جميع المخلوقات، المستحِقُّ بإنعامِهِ للحمد[8].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

معنى قولِهِ تعالى ذكره: يا أيُّها النّاس أنتم المحتاجونَ إلى الله في كلِّ أموركم، الظّاهرة

(1) الرّاغب، المفردات: (فقر).
(2) ابن عاشور، التّحريرُ والتّنوير: 5/ 227.
(3) الجوهريّ، الصّحاح: (غنى)، وابن فارس، مقاييس اللّغة: (غني)، وابن منظور، لسان العرب: (غنا).
(4) ابن عاشور، التّحريرُ والتّنوير: 5/ 227.
(5) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (حمد).
(6) ابن دريد، جمهرة اللّغة: (حمد).
(7) ابن منظور، لسان العرب: (حمد).
(8) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 22/ 286، والقونويّ، الحاشية على تفسير البيضاوي: 16/ 38.

والباطنة، لا تستغنون عنه طرفةَ عينٍ، فإيّاه فاعبدوا، وفي رضاه، فسارعوا؛ يغنِكم من فقرِكم، ويقضِ لكم حوائجَكم، فهو سبحانه الغنيُّ عن النّاس، وعن كلِّ شيء من مخلوقاتِهِ، والحميدُ في ذاتِهِ وأسمائِهِ وصفاتِهِ، المحمود على نعمِهِ، فإنَّ كلَّ نعمةٍ بالنّاس منه، فله الحمدُ والشُّكر على كلِّ حالٍ[1].

افتقارُ كلِّ الخلق إلى الخالق سبحانه

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغيُّ:

سرُّ فصلِ الآية عمّا قبلَها:

جاءت جملةُ ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ مفصولةً عن الجملةِ الَّتي قبلها ﴿وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾؛ لوجود كمالِ الانقطاع بينهما، وهو اختلافُ الجملتين اختلافًا تامًّا، فكلُّ جملةٍ منهما مستقلَّةٌ بنفسها[2]، فبعد أن بيَّن اللّهُ سبحانَه بُطلان عبادةِ الأوثان، أعلمهم أنَّه غنيٌّ عنهم، وأنَّهم هم الفقراء إليه في كلِّ شيء.

فَصْلُ الجملتين لكمال الانقطاعِ بينهما

بلاغةُ الاستفتاحِ بالنِّداء:

استُفْتِح قولُه تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ بأسلوب النِّداء ﴿يَـٰٓأَيُّهَا﴾، والغَرضُ منه تنبيهُ السّامعِ لإيقاظ ذهنِهِ واستحضار قلبِهِ، فإنَّ الحكيمَ إذا خاطبَ من يكونُ محلَّ الغفلةِ أو مشغولَ البال، يُقَدِّمُ على الكلامِ المقصود شيئًا؛ ليَلتَفِتَ المخاطَبُ بسببه إليه، ويُقبِلَ بقلبه عليه بسبب ذلك المقَدَّم، كالنِّداء وحروف الاستفتاح وغيرِها؛ تنبيهًا له على أنَّ ما سيُلقى إليه أمرٌ مهمٌّ[3].

تنبيهُ السّامعين ولفتُ انتباهِهم لأهمّيَّة ما يُقال

دلالةُ النَّكرة المقصودة (أيّ):

تضمَّن قولُهُ تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ نداءَ ﴿ٱلنَّاسُ﴾ بحرف نداء البعيد (يا)، فجيء بـ (أيّ) توصُّلًا لنداء ما فيه (أل)، وقد

غفلةُ المشركين عن عبادة أحسنِ الخالقين

(1) ابن جرير، جامع البيان: 19/ 352، نخبة منَ العلماء، التّفسير الميسر، ص: 436.
(2) القزوينيّ، الإيضاح: 3/ 107.
(3) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 25/ 23.

ذهبَ جمهورُ النُّحاة إلى أنَّ معنى المنادَى المعرَّف بـ (أل) والنَّكرة المقصودة واحد؛ لأنَّهما معرفة، فقولُكَ: (يا رجل)، كقولك: (يا أيّها الرجل)[1]، وقد أبدى بعضُ العلماء فرقًا بينهما: فإنَّ المنادَى في قولك: (يا رجل) نَكِرة في الأصل، فقُصِدَ بالنِّداء، وأمّا المُعرَّف بـ (أل)؛ فهو معرفةٌ قبلَ قصدِهِ بالنِّداء[2]، وكذلك فإنَّ قولك: (يا رجل) يدلُّ على مجرَّد النِّداء، أمّا قولك: (يا أيُّها الرجل)؛ فيدلُّ على ذلك أيضًا، ويُنبئُ عن خَطَرِ المنادَى له، أو غفلةِ المنادَى[3]، فاستعمل (أي) في هذه الآية؛ للدَّلالة على غفلةِ المشركين عن عبادةِ أحسنِ الخالقين، الغَنيِّ عنهم وعن النّاس أجمعين.

دلالةُ (أل) في لفظ ﴿ٱلنَّاسُ﴾:

استغراقُ جنسِ النّاس إلى يوم القيامة

جاء لفظُ ﴿ٱلنَّاسُ﴾ معرَّفًا بـ (أل) في قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾؛ لدلالتِهِ على العهد أو الجنس، فمَن جعلها للعهدِ جعل الخطاب في قوله: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ خاصًّا بالمشركين كما هو غالب اصطلاحِ القرآنِ، وهم المخاطَبون بقوله: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ﴾ الآيات، ومَن جعل (أل) للجنس؛ قال: إنَّ هذا اللَّفظَ يَعُمُّ العالَمَ كافرَهم ومؤمنَهم[4]، وهذا هو الأَوْلَى، وإن كان يمكنُ الجمعُ بينهما، بأن يقال: إنَّ الخطابَ في ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ يشمل المشركين خاصَّةً لسياق الآياتِ في مخاطبتِهم، والنّاسَ عامَّةً لعموم الاتِّعاظ بالقرآن[5].

سرُّ مخاطبةِ النّاس دون غيرهم:

حاجةُ الإنسانِ إلى ربِّه الرَّحمن

خاطب اللهُ النّاسَ بالفقرِ في قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ﴾، وإن كان كلُّ ما سوى الله فقيرًا إليه؛ لأنَّ النّاسَ هم

(1) سيبويه، الكتاب: 1/ 310.
(2) السّامرائيّ، معاني النّحو: 4/ 330.
(3) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 25/ 189.
(4) ابن عطيّة، المحرّر الوجيز: 4/ 133.
(5) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 22/ 285.

الَّذين يَدَّعون الغنى، وينسبونهُ لأنفسهم، وذهب بعضُ العلماءِ إلى أنَّ ذلك من باب تشريفِ الإنسان على غيره من المخلوقات؛ وذلك لأنَّ افتقارَ المخلوقاتِ إلى أفعال اللّهِ تعالى من حيثُ الخلقُ ونحوه، وافتقارَ الإنسان إلى ذاتِ اللّه وصفاته، فجميعُ المخلوقات وإن كانت محتاجةً إلى اللّه تعالى غيرَ أنَّ الاحتياج الحقيقيَّ إلى ذات اللّه وصفاته مختصٌّ بالإنسان من بينها[1].

بلاغةُ القَصْرِ في قوله: ﴿أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ﴾:

افتقارُ النّاس إلى خالقهم متأصّلٌ في جِبِلَّتهم

جاء أسلوبُ القَصْرِ في قوله تعالى: ﴿أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ﴾ لتعريف جُزأي الجملةِ، وهو قَصْر صفةٍ على موصوف، أي: قَصْر صفةِ الفقر على النّاس المخاطَبين قَصْرًا إضافيًّا بالنِّسبة إلى اللّه، أي: أنتم المُفتَقِرون إليه، وليس هو بمفتقرٍ إليكم، وهذا في معنى قوله تعالى: ﴿إِن تَكْفُرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنكُمْ﴾ [الزّمر: 7] المُشْعِرِ بأنَّهم يحسبون أنَّهم يغيظون النَّبيَّ ﷺ بعدم قبولِ دعوته[2]، ويكون الوجهُ حملَ القَصْرِ في قوله: ﴿أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ﴾ على القَصْرِ الإضافيِّ.

دلالةُ التَّعريفِ في قوله: ﴿ٱلْفُقَرَآءُ﴾:

افتقارُ النّاس بسبب ضعفهم أشدُّ من افتقار سائر الخلائق

جاء لفظُ ﴿ٱلْفُقَرَآءُ﴾ في قوله تعالى: ﴿أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ﴾ بالتَّعريف دونَ التَّنكير، ووجهُهُ أنَّه قصد بذلك أن يُريَهُم أنَّهم لشِدَّة افتقارهم إليه هم جنس الفقراءِ، وإن كانت الخلائق كلُّها مفتقرةً إليه، من النّاس وغيرهم؛ لأنَّ الفقرَ ممّا يتبع الضَّعف، وكلَّما كان الفقيرُ أضعفَ؛ كان أفقرَ، وقد شهدَ اللّهُ سبحانه على الإنسان بالضَّعف في قوله: ﴿وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا ﴿٢٨﴾﴾ [النّساء: 28]، وقال ﷻ: ﴿۞ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ﴾ [الرّوم: 54]، ولو نُكِّرَ؛ لكان المعنى:

(1) الهرريّ، حدائق الرّوح والرّيحان: 23/ 390.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 22/ 285.

أنتُم بعضُ الفقراء[1]، وقد يكون تعريفُ ﴿ٱلۡفُقَرَآءُ﴾ لاستغراق الصِّفة قصدَ المبالغةِ، كأنَّهم لكثرةِ افتقارِهم وشِدَّة احتياجِهم هم الفقراء فحسب، وأنَّ افتقار سائر الخلائقِ بالنِّسبة إلى فقرِهم بمنزلة العدم[2].

دلالةُ التَّقييدِ بشِبه الجملة: ﴿إِلَى ٱللَّهِۖ﴾:

دلَّ التَّقييدُ بالجارِّ والمجرور ﴿إِلَى ٱللَّهِۖ﴾ في قوله تعالى: ﴿۞يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِۖ﴾ على افتقار النّاسِ إلى الله سبحانه وحدَه؛ لأنَّه هو خالقُهم ورازقُهم، فالنّاسُ أشدُّ الخلقِ افتقارًا واحتياجًا إلى الله في أنفسِهم وعيالهم وأموالهم، وفيما يَعْرِض لهم من سائر الأمور في حال الفقرِ والغنى، والضَّعف والقوَّة، والذُّلِّ والعِزِّ، فهم مفتقرون لربِّهم الغنيِّ في كلِّ أحوالهم، فلا غِنى لهم عنه طرفةَ عينٍ، ولا أقلَّ من ذلك[3]، وممّا يُذْكَر في دلالة التَّقييد ﴿إِلَى ٱللَّهِۖ﴾ الإشارةُ إلى أنَّ غايةَ العبدِ المُرادة افتقارُه إلى اللهِ تعبُّدًا؛ لأنَّ افتقار الخَلْق إلى الخَلْق ذُلٌّ، أمّا افتقارُ الخَلْق إلى الله؛ فعزٌّ وطاعة، وفيه إعلامٌ بأنَّه لا افتقارَ إلّا إليه، ولا اتِّكال إلّا عليه[4].

النّاسُ أشدُّ افتقارًا إلى الله وحدَه

دلالةُ التَّعبيرِ باسم الجلالة ﴿ٱللَّهِۖ﴾:

دلَّ التَّعبيرُ باسم الجلالة ﴿ٱللَّهِۖ﴾ دون الرَّبِّ في قوله تعالى: ﴿أَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِۖ﴾؛ لبيان أنَّ الفقر على نوعين: فقرٍ ماديٍّ يتعلَّق بالرُّبوبيَّة في قضايا الأرزاق، وفقرٍ معنويٍّ في الهداية والإرشاد، وهو متعلِّقٌ بالأُلوهيَّة، ولمّا كان الحديثُ متعلِّقًا بدعوة الرَّسول ﷺ للنّاس عمومًا، وللمشركين خصوصًا إلى الهداية والرَّشاد، وليس ذلك إلّا لله تعالى، جاء التَّعبيرُ باسم الجلالةِ مناسبًا للمعنى المراد.

ارتباطُ الهداية بالأُلوهيَّة، والأرزاقِ بالرُّبوبيَّة

(1) الزّمخشريّ، الكشّاف: 3/ 606.
(2) الآلوسي، روح المعانيّ: 11/ 356.
(3) الصّاوي، الحاشية على الجلالين: 3/ 257.
(4) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 13/ 272.

دلالةُ الواوِ في قوله: ﴿وَٱللَّهُ﴾:

مقابلةُ أوصافِ العباد بأوصاف المعبود

دلَّ التَّعبيرُ بالواو على عطف قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ﴾ على ما قبلَهُ على سبيل المقابلة؛ لأنَّه لمّا ذكر العبادَ بوصفهم الحقيقيِّ؛ أتبعَه ذِكرَ الخالقِ باسمِهِ الأعظمِ، المتضمِّن لأوصاف الكمال، من الغنى والإنعام المستحِقِّ للحمد[1].

نُكْتَةُ إظهارِ اسم الجلالة (الله):

تعظيمُ حقِّ الأُلوهيَّة، وتربيةُ المهابة في القلوب

أظهرَ الاسمُ الكريم في قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ﴾، مع سبق ذكرِهِ في قوله: ﴿إِلَى ٱللَّهِ﴾ لنُكْتَة جليلةٍ، وهي تعظيم حقِّ الأُلوهيَّةِ، فهو اللهُ العظيمُ المستحِقُّ للعبادة وحدَه دونَ ما سواه مِنَ الأوثانِ، وفيه أيضًا نُكْتَةُ التَّنبيه على سبب استحقاقِ العبادة: وهو انفرادُه بصفة الأُلوهيَّة، كما أنَّ في إظهار اسم الله الأعظم الجامع لأسمائِهِ الحسنى موضعِ الضَّمير تقريرًا للقوَّة الكاملة، والعِزَّةِ القاهرة لله سبحانه، فهو جديرٌ بتلك الصِّفات الفائقة[2]، وحَقيقةُ العَظَمَةِ مُخْتصَّةٌ به وحدَه سبحانه، فَلا يُساوَى بِهِ غَيرُه، فَيُذْكَرُ اسْمُ الجلالَةِ لإحضارِ المعْنى الجامعِ لِصفاتِ الكمالِ[3].

بلاغةُ القصرِ في قوله: ﴿وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِيُّ﴾:

قصرُ صفةِ الغنى على الله ﷻ، ونفيُها عمّن سواه

تظهر بلاغةُ القَصْرِ في قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ﴾ بتعريف جُزأي الجملة مع توسيط ضميرِ الفصل ﴿هُوَ﴾؛ وذلك للدَّلالة على قَصْر صفة الغنى على الله ﷻ ونفي هذه الصِّفة عمَّن سواه، حتّى يُنزَّل غناهم كالعَدَمِ، ومثلُ هذا النَّوع من القَصْرِ يدلُّ على كمال الموصوف في تلك الصِّفة المقصورة[4].

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 16/ 31.
(2) الطّيبيّ، فتوح الغيب: 10/ 533.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 11/ 40.
(4) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 06/ 11.

دلالةُ (أل) في ﴿ٱلۡغَنِيُّ﴾ و﴿ٱلۡحَمِيدُ﴾:

استغراقُ الصِّفات، والدَّلالةُ على رسوخِها في الموصوف

دلَّ دخولُ (أل) على لفظَي ﴿ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ﴾ في قوله جلَّ شأنه: ﴿وَٱللَّهُ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ﴾ على استغراقِ الصِّفات ورسوخها في الموصوف، فاللهُ هوَ الغَنيُّ عن كلِّ شيء لا غيرُه، الحَميدُ المنعِم على جميع الموجودات، المستحِقُّ بإنعامِهِ سبحانه للحمد، فهو جديرٌ بتلك الصِّفات الجليلة.

دلالةُ التَّعبيرِ بصيغة المبالغة:

صفاتُ الله ﷻ كاملةٌ عظيمة الأثر

أوْثر التَّعبيرُ بإيراد وصفي ﴿ٱلۡغَنِيُّ﴾ و﴿ٱلۡحَمِيدُ﴾ على صيغةِ المبالغةِ في قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ﴾ للثَّناء على الله سبحانه؛ بيانًا لكمال صفاته، وأفعالُ الله تعالى لا تتأثَّر بالمبالغة، فتدلُّ صيغةُ المبالغة فيها على أثر المتعلِّق، فالمبالغةُ في صفات الله ﷻ راجعةٌ لعِظَم أثرِها على عبادِهِ.

نُكْتَةُ تقديم ﴿ٱلۡغَنِيُّ﴾ على ﴿ٱلۡحَمِيدُ﴾:

لا ينفع الغنيَّ الفقيرَ إلّا إذا كان جوادًا مُنعِمًا

تقدُّمُ وصفِ ﴿ٱلۡغَنِيُّ﴾ على ﴿ٱلۡحَمِيدُ﴾ في قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ﴾؛ لبيان أنَّ الغنيَّ لا ينفع الفقيرَ إلّا إذا كان جوادًا منعِمًا، وللإشعار بأنَّه تعالى بجانب غناه عن خَلْقِهِ، هو الذي يفيض عليهم من نِعَمِهِ، وهو الذي يعطيهم من خيرِهِ وفضلِه ما يجعلهم يحمدونه بألسنتهم وقلوبهم[1].

بلاغةُ المقابلةِ في الآية:

فقرُ العبادِ إلى غنى ربِّهم الوهّاب

قابلَ النَّظمُ الكريمُ على وجهِ التَّضاد بين وصف الفقرِ للعباد وبين وصف الغنى للرَّبِّ سبحانه، في قوله تعالى: ﴿۞يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ﴾؛ تنويهًا بحاجة العِباد إلى ربِّهم، ولأنَّه لمّا قَيَّدَ فقرهم بالكون إلى اللهِ؛ قَيَّدَ غنى الله تعالى بوصف الحميدِ؛ لإفادة أنَّ غناه تعالى مقترنٌ بجودِهِ، فهو

(1) الآلوسي، روح المعاني: 11/ 356.

يُحْمَدُ ممَّن يتوجَّه إليه، وهو سبحانه المنعِمُ على جميع المخلوقاتِ، المستحِقُّ بإنعامِه للحمد[1].

سرُّ إتباعِ صفة ﴿ٱلْغَنِيُّ﴾ بـ ﴿ٱلْحَمِيدُ﴾:

التَّنبيهُ على أنَّ اللهَ حميدٌ لمَن عبدَهُ واستجابَ لدعوتِهِ

أتبع النَّظمُ صفةَ ﴿ٱلْغَنِيُّ﴾ بصفة ﴿ٱلْحَمِيدُ﴾ في قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ﴾ على سبيل الاحتراسِ، وبعضُهم يسمّيه التَّكميلَ أيضًا، وهو أن يُؤْتَى في كلامٍ يوهِم خلافَ المقصود بما يدفعه[2]، والغرضُ منه في الآية: دفعُ توهُّمِهم أنَّه لمّا كان غنيًّا عن استجابتهم وعبادتِهم، فهم معذورونَ في ألّا يعبدوهُ، فنبَّه على أنَّه موصوفٌ بالحمد لمَن عبدَه، واستجاب لدعوتِه، كما أتبع في قوله تعالى: ﴿إِن تَكْفُرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنكُمْ ۖ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ ۖ وَإِن تَشْكُرُواْ يَرْضَهُ لَكُمْ ۗ﴾ [الزّمر: 7][3]، وممّا يُذْكَر في سِرِّ إتباع وصف الغنيِّ بالحميد؛ الدَّلالةُ على أنَّ غنى الله سبحانه مقرونٌ بالحمد، بخلاف غنى البشر، فإنَّه قد لا يكون محمودًا بسبب البخل، أو بكونِه يأتي بغير طريقٍ صحيح بالكسب غيرِ المشروع، أمّا غنى اللهِ سبحانَه؛ فهو كاملٌ يُحْمَد عليه؛ لكمالِه ولكرمِه على خَلْقِه.

بلاغةُ فاصلةِ الآيةِ:

حثُّ النّاس على سؤال اللهِ وحدَه

تظهر بلاغةُ هذه الفاصلةِ ﴿وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ﴾ في حثِّ النّاس على الطَّلب من الله تعالى، والرَّغبة إليه فيما عنده؛ لأنَّه سبحانَه غنيٌّ لا تنفد خزائنُه، ولا تنقص بالعطاء أبدًا، فهو سبحانه يستجيبُ لمن سألَهُ، ويعطيه ما شاء من فضلِه، وهو سبحانه حميدٌ، أي: يَحْمَد لعبادِه ما يلقون به عطاءَهُم من حمدٍ وشكرٍ أيًّا كان هذا العطاءُ، قليلًا أو كثيرًا[4].

---

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 22/ 286، والقونويّ، الحاشية على تفسير البيضاوي: 16/ 38.
(2) القزوينيّ، الإيضاح: 3/ 208.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 22/ 286.
(4) الخطيب، التّفسير القرآنيّ: 8/ 866.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد السابع والأربعون،
سورة فاطر من الآية 15 إلى سورة يس الآية 50
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2025م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2025م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد السابع والأربعون، سورة فاطر من الآية 15 إلى سورة يس الآية 50
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 47 ، 800 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-731-00-9
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 47 : المجلد السابع والأربعون، سورة فاطر من الآية 15 إلى سورة يس الآية 50.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-731-00-9
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-0968178 بتاريخ 2025/01/23م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»